

ماذا حدث في قرية الماريناب؟:

تحقيق استقصائي

THE CENTER FOR
INTERCULTURAL
DIALOGUE AND TRANSLATIONS

الكاتبة: لميس يحيي

المشرف الأكاديمي: كورنيليوس هولسمان

مراجعة: جينا فيريشيا

نشر بواسطة: تقارير العرب و الغرب

13 أكتوبر 2011

المحتوى

- 1- المقدمة
- 2- تحقيق استقصائي لبناء الانسجام و السلام
- 3- الانطباعات الأولية
- 4- احتقان الأمور منذ فترة
- 5- وجهة نظر المسلمين المحليين
- 6- وجهة نظر المسيحيين المحليين
- 7- قوات الأمن
- 8- عودة إلى الجانب المسلم
- 9- أبونا صليب
- 10- محادثات تليفونية لطلب مزيد من المعلومات
- 11- لقاءات مع مجموعة من الزعماء المسلمين والمسيحيين
- 12- مستندات من كلا الطرفين المسلم و المسيحي
- 13- التغطية الإعلامية
- 14- الخاتمة

1- المقدمة:

في عصر يوم 30 سبتمبر 2011، تلقينا معلومات عن "حرق المسلمين لكنيسة". وذلك من خلال اتصال تليفوني من أحد الأشخاص من القاهرة ليؤكد أن الحادثة كانت اشد عنفاً من تلك التي حدثت لكنيسة القديسين بالإسكندرية في الأول من يناير 2011 عندما حدث انفجار أسفر عن مقتل 20 مسيحي. على الرغم من أن تلك الرسالة كان مبالغاً فيها بشكل كبير إلا أن المظاهرات التي حدثت يوم 9 أكتوبر 2011 والتي نتج عنها مقتل 24 مسيحي أدت إلى تفاقم الوضع.

كنا في زيارة لصديق قديم لكورنيليوس هولسمان (رئيس تحرير تقارير العرب والغرب) في مغاعة وهو أبونا يوانس، وعندما فتحنا القنوات المصرية الفضائية لم نجد شيئاً على الإطلاق و لكننا وجدنا مشاهد على الانترنت عن حريق كنيسة وحشود غاضبة ومسيحيون خائفون. لذا قررنا حينها السفر مباشرة في أول قطار إلى إدفو. وبالفعل نجحنا في الوصول إلى القرية يوم السبت في الصباح الباكر قبل أن يصل أي من الصحفيين.

كان الهدف من زيارتنا مقابلة أكبر عدد ممكن من الأشخاص حتى نتمكن من كتابة دراسة استقصائية أملين أن تساعد المصريين على فهم حقيقة الوضع الراهن وأن يتمكنوا من الوصول إلى مفاوضات تهدف إلى إعادة العدل والسلام إلى المنطقة. زادت مواجهات 9 أكتوبر 2011 أمام مبنى ماسبيرو من أهمية هذا التقرير والذي نتمنى أن تسهم جميع الحقائق المذكورة فيه في خلق فهم أفضل للعلاقات بين المسلمين والمسيحيين في مصر.

2- تقرير استقصائي لبناء الانسجام والسلام

تعتمد AWR أن التحقق من كل التفاصيل هو السبيل الأنسب لمعرفة الحل؛ فالجميع بالمنطقة والمتظاهرون والإعلام يتحدثون الآن عن الأحداث دون أن يكون لديهم خلفية متكاملة عن الحقائق. ليست AWR في حاجة إلى إيجاد حلول ولكنها على

الأقل تسعى لإظهار التفاصيل التي قد تساعد على تحقيق هذا الهدف.
في هذا التقرير الاستقصائي يسعى المحقق لجمع أكبر كم من المعلومات المتاحة:

- المقابلات: آراء الأشخاص المعنيين سواء كانت القصص التي يروونها حقيقية أم لا فهم يعبرون عن مشاعر الناس في منطقة محددة.
 - ذكر أهم الأشخاص المعنيين: وصف كل شخصية يتم مقابلتها والتدقيق في قاعدة البيانات الخاصة بنا لمعرفة ما إذا كانت هناك أية معلومات متوفرة عنهم.
 - المستندات التي يقدمها البعض أو تلك المتوفرة لدينا، ولكن تظل الحاجة لمزيد من البحث موجودة.
 - الصور و الفيديوهات.
 - تقارير الإعلام والانترنت: لابد من الفصل بين تقارير الإعلام المصرية والأجنبية، القبطية والإسلامية (فيما يتعلق بهذه الحالة).
 - وصف المنطقة التي يتم زيارتها.
 - الرجوع إلى قاعدة البيانات الخاصة بنا لتحديد ما إذا كان قد تم الإبلاغ عن حوادث سابقة بالمنطقة التي شهدت المشكلة.
 - لقاءات مع خبراء (شخصيات ليست معنية مباشرة بالحدث ولكن يمكنهم توفير سياق مهم للتفاصيل الموجودة بالموقع وذلك بفضل خبراتهم ومعرفتهم).
 - ذكر المعلومات التي حاولنا الحصول عليها ولكننا لم نتمكن.
- كان من الطبيعي أن يعقب زيارتنا للماريناب وإدفو العديد من المحادثات التليفونية مع الأشخاص المعنيين لتوضيح بعض الأمور التي لم تكن بالوضوح الكافي في سياق المعلومات التي قمنا بجمعها.

3- الانطباعات الأولية

وقعت في غرام هذه القرية الصغيرة الجذابة الواقعة على النيل. كانت نظيفة

ومنظمة كما جذبني أهالي القرية بملامحهم المصرية البسيطة. أكد كل من الطرفين المسلم والمسيحي أن قريتهم كان يعمها الهدوء والسلام قبل وقوع الاختلاف حول مبنى الكنيسة. كم تختلف الحياة هنا عن جو القاهرة المليء بالزحام والضوضاء والتلوث.

توجهت أنا وكورنيليوس هولسمان إلى القرية في الصباح الباكر في الأول من أكتوبر حيث لاحظنا وجود بعض سيارات الأمن على الطريق الرئيسي للقرية. لم يحاول أحد اعتراض طريقنا أو التأكد من هوياتنا كما كان الحال قبل الثورة. لقد بذلنا قصارى جهدنا لبناء علاقات مع الناس من الجانبين وتخفيف الشكوك حولنا والتي تعتبر نتاج طبيعي للشك في أي زائر غريب.

ذهبنا في بادئ الأمر إلى أحد الكافيتريات المقامة على الطريق حيث تقابلنا مع شيخ يتكلم عن المسيحيين بوصفهم "كفار". إحتسنا الشاي و تلقينا وصفاً للاتجاهات ولأين نذهب بعد ذلك.

أفاد أحد الخياطين المسيحيين أنه يعيش في سلام مع المسلمين وأنه يذهب إلى كنيسة في خور الزاج بالرادسية (قرية مجاورة تبعد عن الماريناب بأربعة كيلومترات)

و عند وصولنا إلى القرية دعانا البعض لمضييفة حيث عقد عدد من المسلمون والمسيحيون الليلة التي سبقت وصولنا اجتماعاً للصلح. أكدوا أن التوتر قد انتهى فمن وجهة نظرهم قد أغلقت القضية ولكن بعد المقدمات والشاي ظهرت صورة توضح أن هذا التوتر كان وسيظل موجوداً لفترة وأن القضية لم تغلق بعد.

4- احتقان الأمور منذ فترة

كان الوضع في الماريناب علي وشك الانفجار، هذا ما أشارت إليه "جريدة الشروق" بتاريخ 24 سبتمبر 2011 تحت عنوان: "أقباط ينزعون فتيل الطائفية بوقف بناء كنيسة".

يشير فتيل الطائفي إلى قرية الماريناب بالقرب من مدينة إدفو حيث قام المسيحيون بتحويل مبنى قديم من مضيضة يقوم بها الصلوات إلى كنيسة. يتكون المبنى من دور أرضي وأربعة جدران حجرية وسقف مصنوع من أوراق وجريد النخيل. نشبت المشكلة عندما بادر بعض المسيحيون بتحويل مضيضة إلى كنيسة رسمية وتآزمت أكثر بعد بناء القبة ورفع جرس الكنيسة. عندئذ سعى المسلمون لوقف العمال وتظاهروا ضد استكمال عملية التشييد مؤكدين على عدم شرعية المبنى لأنه لم يحصل على ترخيص بناء. حاول المسيحيون التفاوض مع المسلمين لإقناعهم بأن الكنيسة لن يكون لها قبة أو جرس ولكن المفاوضات باءت بالفشل.

وجهة نظر المسلمين المحليين

عند وصولنا، التقيت أنا وكورنيليوس هولسمان بمجموعة من المسلمين الذين رحبوا بنا في دار للمناسبات ورووا لنا قصتهم مستدلين بمستنداتهم. أوضح عبدا لله، مزارع وموظف بوزارة الشباب والرياضة: "لم يسبق لنا أن رأينا أو شهدنا كنيسة بالماريناب، كما أنه ليس لدينا أية سجلات عن وجود أية كنائس هنا حتى في عهد أجدادنا. لم يكن هناك أية مشاكل في قرينتا حتى 30 أغسطس 2011 الموافق أول أيام عيد الفطر المبارك عندما بدأت الكنيسة في بناء القباب. بدأنا في التظاهر السلمي حتى يعلم الأقباط أن ما بني على باطل فهو باطل. توجهنا مع بعض المسؤولين بالمحافظة إلى المحافظ اللواء مصطفى علي ولكنه لم يستجب. لذا أبقينا تظاهراتنا سلمية."

أبرز الشيخ حبيب منصور، (إمام معين بالقرية من قبل وزارة الأوقاف)، بعض الملاحظات الخطيرة عن محافظ أسوان. تتهم "جريدة الشروق" بتاريخ 24 سبتمبر 2011 بعنوان "أقباط ينزعون فتيل الطائفية بوقف بناء كنيسة" المحافظ بتورطه في إعطاء التصريح للأقباط باستكمال بناء الكنيسة. يقول الشيخ أن هذه الخطوة تم

اتخاذها لإرضاء الأقباط بعد أن أسلمت فتاة تدعى كريستينا من قرية سبائية (تبعد 50 كم عن قرية الماريناب) لتتزوج بشاب مسلم.

تزايد عدد المسلمين أثناء حديثنا حتى وصل حوالي 15 فرداً كلهم معارضون بشدة لبناء الكنيسة. يزعم المسلمون أن عدد المسيحيين في القرية لا يتعدى 30 شخصاً بينما يقدر عدد المسلمين بحوالي 50,000. كما شددوا على أن الأقباط لا يملكون تصريحاً للبناء.

أظهر لنا أهالي القرية نسخة من مستند رسمي من جهة حكومية يوصي بإزالة المبنى الحالي وإعادةه لغرضه السابق كمنزل. هذا المستند، والموقع من قبل حمادة بعزق، قد يساعد في إطفاء نار التوتر الطائفي.

أضاف عبد الله: "ذهبنا لاحقاً إلى القائد العسكري الذي حضر إلى الماريناب في الأول من سبتمبر 2011 وسأل عن عدد الأقباط بالقرية. أجاب الأقباط أن عددهم يبلغ حوالي 30 شخص. و عند سؤاله عن عدد المسلمين أجابنا أننا نبلغ حوالي 50,000 مسلم في الماريناب والقرى المحيطة (18,000 بالماريناب وحدها). عندما اجتمعنا للتفاوض في كوم أمبو باعت محاولتنا بالفشل".

تساءل القائد العسكري: "لمصلحة من إثارة أحد الطرفين في هذا الوقت العصيب الذي تمر به مصر وخاصة أثناء غياب الأمن؟"

أضاف عبد الله: "بعدها أظهر لي الضابط العسكري الكثير من المستندات - كلها كانت في شكل صور فوتوغرافية - تثبت أن المبنى كان إما منزلاً أو قاعة مناسبات ولكن ليست بكنيسة على الإطلاق، باعها معوض يوسف معوض للأسقف هيدرا في 15 مايو 2011. يقر العقد على أنه منزلاً مكون من طابقين مبني من الطوب الأخضر ذو حدود واضحة ومعروفة."

"إذا متى تحول إلى كنيسة؟ العقد بتاريخ 1 مايو 1987. وفي حال ما إذا كانت كنيسة فهل الكنيسة تباع و تشتري؟ كما أطلعني الضابط على صور من فواتير الكهرباء والماء الصادرة باسم معوض يوسف معوض تفيد بأن المنزل مملوك له.

"كانت أهم الأدلة هو الطلب المقدم إلى السيد المحافظ، وهو بالمناسبة المحافظ الوحيد الذي لم تتم إقالته بعد الثورة وكان عضواً في الحزب الوطني الديمقراطي، الحزب الحاكم للرئيس المخلوع حسني مبارك. كما أنه المحافظ الوحيد الذي أدى اليمين الدستورية أمام الرئيس السابق مبارك. كان الطلب يخص إعادة بناء سقف كنيسة الماريناب، بينما كان في الخطاب الذي قرأناه يخص إعادة ترميم كنيسة تدعى خور الزاج في الراسية، والتي تقع في قرية أخرى تبعد عدة كيلومترات عن الماريناب. لاحقاً أعطتنا هذه المجموعة من المسلمين اسطوانة مدمجة عن ندوة عقدت بالمدرسة الثانوية بالماريناب بتاريخ 16 ديسمبر 2010 قبل الثورة. تضمنت هذه الاسطوانة حديثاً لكل من الشيوخ وأبونا صليب عن العلاقة بين المسلمين والمسيحيين. زعم عبداً لله بأن أبونا صليب صرح بأن هناك إشاعات تدور حول بناء كنيسة في الماريناب. كما زعم أن أبونا صليب أكد أنها لن تكون سوى قاعة يمكن للجميع فيها مشاركة بعضهم البعض لحظات الفرح والأسى. "وفي حال ما إذا اكتشفتم بأنها كنيسة يمكنكم حينها إزالتها."

في مايو 2011، تسلمت الكنيسة إخطاراً من المجلس المحلي يفيد بضرورة إزالة الأجزاء المخالفة بالمبنى. وأعطى الإخطار مهلة 15 يوماً لتنفيذ القرار، ولكن لم يحرك أي من المسؤولين ساكناً. لذا تظاهر المسلمون ثانية صباح يوم الجمعة (الموافق 30 سبتمبر) في أحد الشوارع المجاورة للمبنى.

شاهد المسلمون أحد المسيحيين يقوم بأشغال النيران في أحد الإطارات من منزل منعزل مما اضطرهم لإخماد النيران. قيل لي بأن إحدى السيدات العجائز كادت تحتنق اثر الدخان المنبعث إلا أن الشباب المسلمين حملوها إلى إحدى سيارات

الإسعاف. انتظرنا الاستجابة لوعود المحافظ العديدة بإيجاد حلول للمشكلة، ولكن بلا طائل.

أجاب عبداً لله: "أتساءل لمصلحة من الآن خلق جو من العنف الطائفي. فأبونا صليب هو رئيس الكنائس في منطقة إدفو والأسقف هيدرا هو مطران أسوان".
وعندما سألت عبد الله: "لم تفعلون هذا في مثل هذه الأوقات العصيبة التي تمر بها مصر بعد الثورة؟" أجاب قائلاً: "استغل المسيحيون غياب الأمن لخدمة مصالحهم الشخصية. فعلى الرغم من أنهم أزالوا جزءاً من القباب إلا أنهم تركوا اثنتين عملوا على هدمهما ببطء شديد."

زعم عبداً لله أن الماريناب لم توجد بها كنيسة في أي وقت مضى مؤكداً أن المحافظ ذكر ذلك أيضاً.

6- وجهة نظر المسيحيين المحليين

لم يسمح لي ولا لكورنيليس هولسمان في بادئ الأمر بالحديث إلى الجانب المسيحي. أخبرنا بعض القرويين المسلمين أن المحافظ أعطى تعليمات بذلك، ولكن بعد إجراء بعض المفاوضات ذهبنا لملاقة بعض القرويين المسيحيين.
رأيت مجموعة من المنازل الصغيرة، بني معظمها من الطوب الطيني، تجمعت فيما يشبه المربع السكني. لاحظنا أن الأقباط محاصرون في منازلهم في حالة ذعر. قيل لنا أن قوات الأمن أحاطت بهم وأبقتهم بالداخل. توجهت إلى أحد المنازل حيث استضافتني سيدة عجوز. كان المنزل المكون من طابقين في حالة يرثى لها.

مع بعض المسيحيين المحليين في الماريناب

طلب مني بعض لواءات الأمن المتواجدين أمام المنزل الانتظار حتى تصل لجنة تقصي الحقائق. طلبت السيدة العجوز الحديث إلي على انفراد في غرفة نومها بينما ظل كورنيلوس هولسمان مع باقي الرجال بصالة المنزل الصغيرة. وهناك استدعوا يوسف معوض للحديث إلي لأنه أعلم الناس بما جري في الماريناب.

أوضح معوض: "صدر قرار الإزالة لتقليل ارتفاع الحائط من 12 إلى 9 أمتار. كما أوصى بضرورة إزالة القباب والمنارة". تم منحهم مهلة 15 يوماً لتنفيذ القرار ولكن فوجئنا في أول أيام عيد الفطر بمدير إحدى المدارس ويدعى سعيد بشير يقود إحدى المظاهرات ضد تشييد الكنيسة. وفي حوالي الواحدة أو الثانية من ظهر أمس فوجئنا بعصبة من 200 أو 300 شخص يدمرون الكنيسة حتى غربت الشمس. أحرقوا أيضاً مخزناً بجوار الكنيسة مليء بعجل وممتلكات أخرى تخص تاجراً يدعى عباس."

زعم معوض أن المبنى كان يستخدم دائماً ككنيسة. كانت إحدى سيارات الأمن دائماً ما تربض أمام الباب أثناء الأعياد والصلوات، مما يعد دليلاً على أنه متعارف رسمياً على أنها كنيسة وليست مضيضة. زعم معوض أيضاً أن: "أبونا مكاروريوس حصل على تصريح من قبل المحافظ لبناء كنيسة جديدة. وكان المبنى يستخدم ككنيسة تقام فيها الصلوات تحت حماية قوات الأمن أثناء الأعياد منذ عام 1949."

"حصل أبونا مكاروريوس على تصريح إزالة من المحافظ لبناء كنيسة جديدة 'كنيسة الأم ماري'. صدر قرار الإحلال والتجديد بعد عيد الفطر بستة أشهر. استغرق إحلال [الكنيسة] من [المسيحيين] ما يقرب من عام كامل." عقد اجتماع في مدينة كوم أمبو للتفاوض مع قادة الجانب المسلم، حيث طلب منا ومن أبونا صليب وأبونا مكاروريوس عدم وضع صليب أو جرس بالكنيسة. وفي الأول من سبتمبر قاموا بتغيير ما تم الاتفاق عليه إلى 'لا مكبرات للصوت، لا جرس، لا صليب ولا قباب'.

وقد أوضح أبونا مكاروريوس "تلقينا مذكرة من الإدارة الهندسية تأمرنا بإزالة القباب والارتفاعات الزائدة للجدران. فأزلنا القباب بأنفسنا وقللنا الارتفاعات من 9 إلى 8.4 متراً. كان العمال يبذلون قصارى جهدهم ولكن كان من الصعب تنفيذ العمل بالسرعة المطلوبة دون أن يؤدي ذلك لانهييار السقف".

كانت تقطن الماريناب 55 أسرة - أي ما يقرب من 250 فرداً. تخدم الكنيسة أيضاً 4 قرى هي: الماريناب، جندلة، غنيمية وبلاليس بينما تقع أقرب كنيسة في خور الزاج على بعد 7 كيلومترات منا.

قال لي بعض الأقباط أنه تم سلب و حرق بعض المحال المملوكة للمسيحيين، "كان الدخان كثيفاً للغاية لدرجة أنه كان من الصعب رؤية بعضنا البعض". كما قال لي شخص آخر أنه تم سرقة حوالي 50,000 جم من أحد المنازل المجاورة للكنيسة. تم حرق منزلاً آخر بجوار الكنيسة وكان يعد مخزناً للسجاد وبعض الأغراض الأخرى وسلب جميع أغراض سوبر ماركت.

أثناء تواجدي في غرفة نوم متواضعة كان يحيط بي حوالي 15 رجل وامرأتين. كان الجميع في حالة من التوتر والذعر بسبب الوضع الحالي. كان هناك امرأة بالأسفل تضع مولوداً ولكن صحتها كانت متدهورة. وعندما جاءت امرأة أخرى لتخبرنا أن المرأة تنزف مجدداً بعد أن وضعت، شعرت بحيرة شديدة بين رغبتني في مساعدتها واستكمال الحديث مع المرأة الأولى.

عندما تحدثت مع أشرف عياد، صاحب المنزل الذي قمنا بزيارته، ذكر لي أنه في صباح يوم الجمعة الموافق 30 سبتمبر أتى إليه أحد جيرانه في هدوء عاقداً ذراعيه خلف ظهره قائلاً: "رحمة الله على الإسلام، لقد دفن الإسلام في هذه القرية. ستكون نهاية الإسلام في هذه القرية إذا ما سمحنا ببناء هذه الكنيسة." أوضح أشرف أنه (الجار) جمع حشداً من الناس في وقت لاحق وجاءوا لتحطيم الكنيسة. حطمت الأعمدة الخرسانية حتى لا يتسنى لهم بناؤها مجدداً وكانت النيران التي أضرمت في الكنيسة من الحدة لدرجة أن الدعامات الحديدية تداعت من شدة الحرارة.

من الجدير بالذكر أن المنازل كانت شديدة القرب من بعضها البعض بحيث أنه إذا ما اندلعت النيران في احدها، سريعاً ما تنتقل إلى باقي المنازل.

أخبرني أشرف أنه هو من استدعى سيارة الإطفاء، على النقيض مما ذكره أحد المسلمون بأنهم هم من استدعوها.

ذكر كل من أشرف عياد ويوسف معوض أن سيارة الإطفاء منعت من قبل قوات الأمن والمسلمين من دخول الشارع لإطفاء الحريق. وعندما ذكرت لهم ما يتعلق بضيق الشوارع مما لا يسمح بدخول سيارة الإطفاء أجاب بأنه كان بمقدورهم استخدام الخراطيم ولكن الأمن والمسلمون حالوا دون ذلك. عندما سألت أشرف عن طبيعة العلاقة بينه وبين المسلمين، أجاب متحسراً: "ويم يمكنني أن أجيبك؟ لقد كنا بمثابة بيت واحد وأسرّة واحدة. اعتدت أن أدخل بيوتهم دون حتى أن أطرق الأبواب واعتدت أن أجلس في غرف نومهم الخاصة كما تفعلين الآن".

شرح لي أشرف كيفية انتشار الحريق:

نشبت حريق بمنزل صغير يمتلكه رفعت عياد جرجس يقع بجوار مخزن في الجهة الشرقية من القرية. لاحظت أن جميع الأسقف كانت مصنوعة من عيدان خشبية كما أن المخزن المملوك ليوسف معوض وآخر يمتلكه صبحي عزيز وماجد عزيز كانت بهم العديد من الأجهزة الكهربائية. انتشر الحريق في كل مكان في غضون 3 ساعات. لم تتمكن قوات الأمن ولا الحكومة من إدخال عربة الإطفاء للمكان.

التقطت بعض الصور للكنيسة من الطابق الثاني للمنزل حيث كنا نمكث. كان باستطاعتي رؤية الكنيسة من هنا، ولكن لم يسمح لي بالدخول إلى الكنيسة بنفسني لالتقاط بعض الصور للجدران والأسقف المحترقة. أعطيت الكاميرا الخاصة بي لأحد الرجال حيث قام بإخفائها داخل جلبابه ليلتقط بعض الصور بدلاً مني.

عندما سألت امرأة متقدمة في العمر شهدت من أشعل النيران بالكنيسة قالت أن العرب هما الذين أشعلوا النيران بالكنيسة و المنازل. و عندما سألتها إذا كانت تعرفهم أو إذا كانوا من القرية. قالت نعم و بعضهم جيران لنا. ثم عرضوا علي قائمة

تحتوي حوالي 70 أسماً لأشخاص شوهدوا وهم يحرقون ويهدمون الكنيسة والمنازل المجاورة. طرحت العديد من الأسئلة حول ما إذا كانت الشرطة أو الجيش متواجدين حينئذ أجاب يوسف بأنه كان هناك اثنان من الضباط و حوالي 20 جندياً ممن وصلوا هناك قبل وصول عدد غفير من الشباب. و في حوالي الواحدة أو الثانية من ظهر يوم الجمعة توافدت أعداد أكبر من قوات الأمن. و صرح أيضاً: "ولكنهم كانوا يشاهدونهم بينما كانوا يحتسون الشاي. بل إن أحدهم قال للشباب: 'كفاكم اليوم يا أولاد وأكملوا غداً'."

عدت مرة أخرى لكورنيليوس هولسمان بالغرفة التي كان يمكث فيها محاطاً بمجموعة من الرجال. كان أحدهم قد أخبره عن تدمير 1200 شجرة مانجو. كما أخبره شخص آخر عن السطو الذي تعرض له محله. طلب منهم كورنيليوس أن يأخذوا الكاميرا الخاصة به لالتقاط بعض الصور للدمار الذي لحق بالمنطقة. و لجنسيته الهولندية، سأله البعض عن الهجرة فأوضح لهم أنه ليس من السهل الحصول على تأشيرات من الدول الغربية. لاحظ أيضاً انتشار الخوف بين المسيحيين. أكدوا أن الأمور كانت تسير على ما يرام فيما بينهم و بين المسلمين قبل بدء التوترات التي حدثت بسبب تجديد الكنيسة.

جلسنا لفترة وجيزة بانتظار الكاميرا الخاصة بي ثم خطوت لأسفل على الدرج الذي كان متعرجاً بشكل أصابني بالذعر خشية أن أسقط. ثم تركنا المنزل لملاقة قوات الأمن.

قوات الأمن

قبل أن ندلف إلى منازل المسيحيين، طلب بعض ضباط الأمن ملاقاتنا وأبدينا ترحيبنا الكامل بذلك. و نظراً لاحتياجنا لفهم أبعاد القصة كاملةً فقد كنا بحاجة لسماع أقوال ضباط الأمن. كانوا جالسين على أرائك خشبية بسيطة خارج منطقة تجمع منازل المسيحيين بجوار الحائط الذي هدمه شباب المسلمين قبل دخول الكنيسة.

تحدث إلينا قائد قوات الأمن اللواء محمد بدران بينما وقف باقي الضباط يستمعون. كانت مجموعة من الأقباط قد تبعتنا بدافع الفضول لمعرفة ما سيصرح به ضباط الأمن؛ الشيء الذي لم يرحب به اللواء بدران مما دفعه للصياح في الأقباط وأمرهم بأن يلزموا منازلهم ويغلقوا أبوابها. زجر أيضا الأطفال الذين كانوا بالخارج محاولين المشاهدة والاستماع لما كان يقوله لنا الضباط.

بعدئذ غير اللواء بدران من نبرة صوته إلى أسلوب أكثر كياسة. عرف اللواء نفسه كنائب مدير أمن أسوان وذكر: "لقد زجرتهم لأن الأطفال المنتشرين في المكان يثيرون الغبار والأتربة في الهواء".

زعم أن بعض المستندات قد تم تزويرها.

"كانت مجرد مضيعة بسيطة تقام بها الصلوات، ولكن أراد الأقباط مؤخراً منحها الطابع الكنسي من الخارج. فمحاولاتهم لتغيير الشكل الخارجي هو ما قد أدى إلى خلق المشاكل".

"صدر قرار بالإزالة وبالفعل بدأ الأقباط في إزالة بعض الأجزاء المخالفة للقانون ولكنهم كانوا يفعلون ذلك ببطء مما استثار شباب المسلمين الذين ظنوا أن الأقباط لا يريدون إزالة باقي الأجزاء المخالفة".

أوضح اللواء: "تجمع حوالي 1000 شاب مسلم يوم الجمعة الموافق 30 سبتمبر عند المبنى لهدمه مما تسبب في غلق الشارع. كانوا جميعاً يحملون أدواتهم ومطارقهم البسيطة والتي لا تقوى على هدم الحوائط. هم أيضاً ليسوا بعمال لذا قام أحدهم بإضرار النيران داخل المبنى ليضمن إزالة المبنى الأسمنتي." "بالقرب من المبنى اندلع حريق بمخزن يحتوي على بعض أغراض للكنيسة القديمة مثل السجاد وبطاطين وإطارات السيارات. و هكذا انتشرت النيران في كل مكان هنا."

عند سؤالي له: "لماذا لم تحاول قوات الأمن أو الجيش التدخل لوقفهم؟" أجاب قائلاً: "كان هناك ما يربوا على 1000 شخص وكانوا جميعاً في حالة هياج.

"متى وصلتكم إلى الماريناب أو إلى موقع المبنى؟"

أجاب اللواء "كنا متواجدين منذ الساعة الواحدة ظهراً وحتى غروب الشمس. بل كان بعضنا هنا منذ الصباح الباكر".

سألته عن إمكانية دخول المبنى لالتقاط بعض الصور للمكان ولكنه رفض قائلاً: "لا، ليس مسموحاً لأحد بالتقاط أية صور للمكان، علينا انتظار قدوم لجنة تقصي الحقائق. من المتوقع وصولهم خلال ساعة".

عندما سأل كورنيليوس هولسمان عن عدد الأقباط المقيمين بالقرية أفاده اللواء بأنه لا يتجاوز 75 شخصاً.

بعد قضاء بعض الوقت مع الجانب المسلم، وصلت أنا وكورنيليوس هولسمان في حوالي الساعة الحادية عشرة صباحاً إلى الجانب القبطي. كنا قد أخطرنا مسبقاً بأن لجنة تقصي الحقائق على وشك الوصول. وأثناء جلوسنا أمام منزل أحد المسيحيين بحيث كان المبنى محل الجدل إلى يميننا، كان يحيط بنا بعض الجنود مدججين بالسلاح.

أفادنا اللواء بدران: "كان المبنى مجرد مضيضة بسيطة مبنية من الطوب اللبن مثل تلك التي على يسارنا".

ذكر أيضاً أن سيدة قبطية عجوز كادت أن تختنق جراء الدخان الكثيف لكن حملها بعض شباب المسلمين إلى الخارج واستدعوا لها سيارة الإسعاف. وذكر أيضاً مؤكداً: "عدد الأقباط هنا قليل للغاية ولو كان المسلمون يريدون إلحاق الأذى بهم لكان بإمكانهم القضاء عليهم جميعاً. أرادوا فقط إزالة المبنى".

سألته عما إذا كان بإمكانني الدخول لالتقاط بعض الصور للمضيضة لإظهار ما كانت عليه الكنيسة قبل وبعد إتمام التغييرات. أجاب اللواء "نعم": "لكن دعوا الباب مغلقاً أثناء التقاطكم للصور".

دخلنا ووجدنا بعض الجنود الذين خرجوا وأغلقوا الباب خلفنا كما طلب اللواء. التقطت بعض الصور للمضيضة. بعض الأقباط كانوا يجلسون خارج منازلهم على إحدى الأرناك يشاهدوننا بانتباه، ثم خرجنا ثانية للقاء اللواء.

علق اللواء: "نحن هنا منذ وقت طويل".

أجبتّه: "أعانك الله".

كان من الواضح أنه لم يكن سعيداً لاستدعائه من قبل رؤسائه للحضور إلى القرية. حرك رأسه مجيباً: "نعم، هذا هو ما نريد سماعه." في هذه اللحظة وصل عدد آخر من كبار المسؤولين بالأمن أو من الحكومة وجلسوا بالجهة المقابلة لنا. أعاد أحد الرجال - والذي كان يرتدي ثياب مدنية داكنة - نفس الحوار الذي قاله ضباط الأمن حول التغييرات المخالفة للقانون بالمبنى. كان من الواضح أن هذا الرجل مسئول أمني ذو رتبة عالية. الجو بأكمله كان مليء بالتوتر مما أشعرني بعدم الراحة تجاه الحصول على أية معلومات من أي ضابط آخر.

عندما أوشكنا على المغادرة، أفادنا اللواء أننا قد نحتاج إلى حوالي أسبوع كامل لإنهاء مثل هذا التقرير وطلب منا إرسال نسخ منه إلى جميع الأطراف بما فيها الأمن للإطلاع عليه. عندما سأله عن كيفية إرسال التقرير له، أوضح: "لا استخدم البريد الإلكتروني أو الانترنت ولكن يمكنكم إرساله عن طريق موقع مديرية الأمن وسيقوموا بإرساله إليّ." وقفنا وصافحنا العديد من مسؤولي الأمن. كما صافحنا العديد من الأقباط. رأيت أيضاً أشرف معوض ونظرت إليه ملمحةً بضرورة البقاء على اتصال بي عن طريق الجوال. حاولت أيضاً تهدئة الأجواء قائلة لضباط الأمن: "رأفةً بهم (الأقباط) فهم يشعرون بالذعر." ثم طمأنت الأقباط بأن الأمور ستكون على ما يرام. "لا تخافوا إلى هذه الدرجة فأمننا و قواتنا المسلحة هما من يدير شئون البلاد حالياً." فأشاروا بالموافقة.

8- عودة إلى الجانب المسلم

خرجنا إلى سائقنا علي - الذي كان بانتظارنا وقد فرغ صبره. كان علينا

العودة مرة أخرى إلى الجانب المسلم للحصول على المستندات التي يمتلكونها بخصوص القضية والتي وعدونا بها في الصباح. عدت أنا وكورنيليوس هولسمان إلى

القاعة التي كان قد استضافنا بها عبداً لله وآخرين ممن التقينا بهم صباحاً ووجدنا بعض الوجوه الجديدة التي جاءت لتتحدث إلينا. وكانت وجوههم مليئة بالشك مما اضطرنا إلى تعريف أنفسنا مجدداً. تم تقديم الشاي والكيك لنا بينما قام المسلمون بتكرار نفس القصة التي سبق لنا أن سمعناها: "نحن والأقباط أخوة وجيران نتشارك الحزن والفرح سوياً".

تقدم رجل ذو قامة طويلة و بشرة سمراء ولحية قصيرة معرفاً نفسه باسم الشيخ حبيب منصور. روى لنا قصة الفتاة المسيحية التي تدعى كريستينا. اتهم الشيخ حبيب المحافظ بإبرام اتفاقية غير نظيفة مع أبونا صليب للحصول على تصريح لبناء الكنيسة وذلك مقابل إغلاق قصة كريستينا للأبد. "لذا كنتم تتظاهرون اعتراضاً على الأوراق والتصاريح الغير شرعية التي منحت لبناء الكنيسة. فماذا إذا كنتم ستفعلون إذا ما أتاكم أبونا صليب بتصاريح شرعية لبناء الكنيسة؟"

فأجاب: "إنه يسعى لإحداث فتنة طائفية، فعددهم قليل للغاية ولديهم بالفعل كنيسة على بعد بضع كيلومترات منا. لماذا إذاً يحتاجون لأخرى أن كان عددهم لا يتجاوز 30 شخصاً؟"

قضية الأعداد دائماً ما يتم طرحها. فالمسيحيون يقدرهم عددهم بحوالي 250 بينما يقدرهم المسلمون بـ 30 فقط. اللواء بدران يقول أنهم بين 50 و 75. تعرفت على الشيخ حبيب من الفيديو الذي عرضه علينا عبداً لله في الصباح. الشيخ حبيب كان يجلس بجوار أبونا صليب أثناء الندوة التي أقيمت بأحد المدارس الثانوية في 16 سبتمبر 2010. أوضح الشيخ حبيب أن أباه أسماه على اسم صديقه القبطي "حبيب". كما أكد أنه لا يكن أي مشاعر كراهية تجاه الأقباط رايماً القصة نفسها عن الشباب المسلم الذي حمل امرأة قبطية عجوز أمام الأمن لإنقاذ حياتها.

أخبرني الشيخ حبيب أن الدمار الذي لحق بالكنيسة يعود إلى عدة أشهر سابقة. وأكد أن المحافظ اللواء مصطفى السيد له دخل كبير في القصة حيث قام بإعطاء الأقباط تصريحاً مخالفاً لإنهاء ملف كريستينا التي اعتنقت الإسلام في قرية سيبيائية.

يصر حبيب أن المحافظ لابد وأن يتم إقالته وأن المنظومة الحكومية مازالت تتكون بشكل رئيسي من أعضاء الحزب الوطني الديمقراطي. كما أكد أن المحافظ لم يستطع حل المشاكل التي مرت بها أسوان مؤخراً.

"كان المحافظ في الإسكندرية لأكثر من عشرة أيام بينما كان النوبيون يتظاهرون أمام المحافظة وقاموا بإحراق جزء منها. ومع ذلك لم يعد لحل المشاكل. لماذا هو المحافظ الوحيد الذي لم يترك منصبه بعد الثورة؟"

قاطعته رجل آخر ذو بشرة سمراء و قدم نفسه باسم حامد بدوي مصطفى - مقال أعمال بناء. قال حامد أنه قام ببناء منزل يوسف معوض وأنه كان منزلاً أو مضيعة ولكنه لم يكن كنيسة قط.

توجهت مرة أخرى إلى الشيخ حبيب الذي من الواضح أنه كان منغمساً في القصة منذ بادئ الأمر. ثم أطلعني على مقالة من جريدة " الشروق " تتهم المحافظ بفشله في معالجة القضية. أضاف أيضاً أن أبونا صليب هو في الأصل من المنيا وليس أسوان. زعم الشيخ حبيب أن أبونا صليب وأبونا مكاريوس ويوسف معوض هم المسئولون الرئيسيون عن هذا التوتر الطائفي.

"غير مسموح لهم بدخول القرية أو لمحال استضافتهم الدينية بعد كل ما اقترفوا. لقد ذكرنا على مواقعهم الالكترونية أن السلفيين في القرية هاجموا وحرقوا المبنى في حين أنه لا يوجد أي سلفيين في قريتنا." أخبرته بأنني قد رأيت أحد الملصقات الدعائية لحزب النور بإدفو، وهو حزب سياسي سلفي. وهذا يعني أنه يوجد في الحقيقة سلفيين في المنطقة.

أصر قائلاً: "كلا لا يوجد في قريتنا أي سلفيين. هناك عدد قليل منهم بإدفو وهم لا يعنون إلا بأمورهم الخاصة."

تساءلت: "هل يعني هذا أن الإخوان المسلمون لديهم فرصة قوية لدخول البرلمان؟". ضحك قائلاً: "لا، هذا أمر غير صحيح فقليلون هم من يدعمونهم هنا. في

الأغلب سيفوز بها الأفراد المستقلون أو ممثلي الحزب الوطني الديمقراطي السابقين
[...]."

في هذه الأثناء كان كورنيليوس هولسمان يخوض حديثاً جانبياً مع رجل ملتحي
ما بين الخمسين والستين من عمره. أخبرني كورنيليوس هولسمان أنه صوفي وكنت
سعيدة بمقابلة أحد الصوفيين هناك لاهتمامي الشخصي بالصوفية. رغبت في أن أعلم
أي الطرق الصوفية يمكن أن يوجد في هذا الجزء من مصر. كما أن الصوفيون
معروفون بالتسامح مع أهل الكتاب (المسيحيين واليهود) وغير المسلمين بشكل عام.
لذا سألته: "لأي الطرق الصوفية تنتمي؟"

"أنا نقشبندي من الطريقة التابعة لبهاء الدين النقشبندي."
تعجبت لوجود الطريقة النقشبندية في صعيد مصر لأن بهاء الدين النقشبندي
كان في وسط آسيا وكانت هذه الطريقة أكثر شيوعاً في تركيا ووسط آسيا عن أفريقيا.
تساءلت عما إذا كانت هناك طرق صوفية أخرى في أسوان وإدفو.
أجاب الرجل: "بالتأكيد فهناك الرفاعية والشاذلية والبرهانية اللذين أتوا في
الأصل من السودان."

كان الفضول يدفعني لمعرفة الطريقة التي يتبعها الشيخ حبيب لكنه لم يخبرني
وعلق ضاحكاً "أتريدون معرفة كل شيء دفعة واحدة، سنتحدث أكثر عندما تأتون في
المررة القادمة."

ثم حاول الشيخ حامد، المقاول، إرباكي قائلاً: "إذا عمل أحد الصوفيين في
منزل مسيحي أثناء نهار رمضان هل يجوز له أن يأكل عندهم عند الإفطار؟"
فكرت لوهلة محاولة فهم المغزى من سؤاله ثم أجبت: "لا مانع عند الصوفية من فعل
هذا. بالتأكيد يستطيع أن يأكل عندهم."

"عندما أعمل في منازلهم يحترمونني فلا يأكلون ولا يدخنون بينما أعمل. أنا
أعيش هنا وأكل في بيتي أو بأي مطعم ولكنني أفضل أن أكل معهم" علق حامد.

أضاف الشيخ حبيب: "لا يمكن لنا إيذائهم - فهم أصل مصر ونحن من قدم إليهم. أذهبي واسألني إن كان أحدهم قد تأذى أو جرح."

سألت الشيخ حبيب عن رؤيته وعن كيفية استعادة علاقته بالمسيحيين فأجاب مؤكداً أن المشكلة قد انتهت.

"المسؤولين عن هذا العنف الطائفي - أبونا صليب وأبونا مكاروريوس ويوسف معوض - لابد وأن يبقوا بعيداً عنا. لا يمكنهم فرض رؤيتهم وآرائهم الخاصة علينا - الأغلبية. 10% من المشكلة مازالت تكمن فيما يكتب على الانترنت والإعلام. هناك قبطيان يعيشان في إدفو وهما ثابت كامل معوض وفوزي كامل معوض ينشرون إشاعات حولي وحول وجود سلفيون بالقرية، وهو الشئ العاري تماماً من الصحة." "لقد اطمئن قلبي بنسبة 50% عندما أخبرتني أنك صوفية." وعندما سألته: "ومتى ستثق بي بنسبة 100%؟" فأجاب: "عندما أقرأ ما سجلتيه."

اقترحت أنا وكورنيليوس هولسمان أن يأتي معنا الشيخ حبيب أو أحد القادة إلى الجانب المسيحي لمحاولة بناء جسور من الثقة.

"لقد هدأت الأمور، ولكني لا أستطيع الذهاب إليهم ولا يستطيع أحد من الجالسين فعل ذلك أيضاً. لقد أهانونا بالأمس وأهانوا ديننا ونبينا. فماذا ستفعلين إذا ما أهان أحد النبي محمد؟" تساءل الشيخ. عندما سألته "إذاً كيف سيتم مداواة هذا الشرخ الذي حدث؟" أجاب مؤكداً أنه ما زال صديقاً لامرأة قبطية تبيع الدواجن كما أننا "نضحك كثيراً سوياً".

"رجاءاً حاول أن تستوعب رد فعلهم. فلك أن تتخيل إذا ما قام أحد بمهاجمة

مسجداً!"

ظلوا صامتين لثانية ثم أجاب حبيب: "لم يكن هناك كنيسة في المقام الأول." ثم أوضحت: "إنهم أناس بسطاء. و كما ألاحظ فهم يأخذون الموضوع على محمل شخصي. يمكن أن تفسر لهم أن الإعتداء كان ضد المبنى وليس ضدهم؟ إنهم يشعرون بالخوف."

أكد الشيخ حبيب "إنهم يتظاهرون من الخوف كما أنني أكدت لك أن المسألة انتهت" مضيفاً: "سيستغرق الأمر أسبوع أو ما شابه لتهدأ الأمور ثم ستعود العلاقات لطبيعتها. فمشكلتنا تكمن مع زعمائهم الدينيين وليس معهم. لقد حاول أبونا صليب تهديدي في اجتماع مع منظمة حقوق الإنسان والإتحاد الأوروبي. فهو ليس وطني. ولو كان يريد الحوار معي لكان هددني بالمحافظ والشرطة أو قواتنا المسلحة".
جاء صبي ومعه نسخة من المستندات - ولكنها كانت تبدو أقل من الأصول التي أطلعوني عليها. وعندما سألت عن السبب أوضحوا لي أن هناك بعض الصفحات الباهتة والتي يصعب تصوير نسخ أخرى منها. فأخذت الصور.
وفي النهاية قلت للشيخ حبيب: "الأقباط هنا عددهم ضئيل فرجاءً حاولوا أن تترفقوا بهم".

فأجاب مصرأً: "لقد أخبرتك أن المسألة انتهت وأستطيع أن أضمن لك أن الأمور ستعود لطبيعتها مجدداً. كما أؤكد لك أن أحدهم لن يمس بمكروه".

10- أبونا صليب

تركنا القاعة وانطلقنا مع سائقنا علي، البالغ من العمر 15 عاماً، إلى مطعم يطل على نهر النيل. تحدثنا أنا وكورنيليوس لبرهة عن الآراء التي استمعنا إليها ومغزاها ثم استقلنا عربة أخرى لتأخذنا إلى أسوان حيث يمكث أبونا صليب حسبما أخبر أبونا يؤانس.
كان اسم أبونا صليب قد تردد كثيراً. سلطنا الطريق الصحراوي، وأخذنا نجهز الأسئلة التي سنطرحها على أبونا صليب. استمتعت بالمناظر الطبيعية كثيراً وأخذت أثرثر مع السائق، الذي كان بالمناسبة خال السائق علي، حول إمكانية تحويل أسوان إلى مكان أفضل وعن إمكانية تشييد العديد من المصانع.
أفاد خال علي: "الموارد السياحية بشرم الشيخ صرفت انتباه السائحين عنا، لكن يمكننا عمل الكثير من الأمور هنا في أسوان".

وصلنا إلى كاتدرائية أسوان التي كانت تماثل في الضخامة الكاتدرائية المرقسية الكبرى بالعباسية بالقاهرة. ويعود إنشائها إلى خمسة عشر عاماً مضت وتقع على تل صغير في قلب المدينة. التقطت لها مجموعة من الصور.

قابلنا أبونا بولا في الكاتدرائية بالترحاب طارحاً العديد من الأسئلة عمّن نكون وما نفعل. أخبرنا بعدها بأن أبونا صليب في إدفو. وتحدثنا بشأن الكنيسة في الماريناب.

تحدث أبونا بولا قائلاً: "لا زالت القوانين مترممة علينا في بناء الكنائس. علينا أن نكون متوائمين مع جيراننا المسلمين. واجهتني نفس المشكلة في أبو سمبل حيث سمح لنا ببناء كنيسة، ثم طلب منا البناء في جزء آخر من أسوان، ثم طلب منا تقليل المساحة التي سيتم البناء عليها كما هو متفق مسبقاً. لم يكن لدي أي مانع في البناء في موقع آخر أقل أهمية في أسوان لكننا اختلفنا مع السلطات التي أرادت تقليل مساحة الكنيسة. لم نكن نريد المساحة كلها للكنيسة ولكن لأغراض أخرى تخدم الكنيسة. في البداية نحصل على الموافقات ثم تبدأ سلسلة من محاولات التغيير - متاعب.

ثم أضاف قائلاً: "بل لدي لكم قصة أخرى. أراد بعض الجيران المسلمين إنشاء مسجداً جديداً فطلبوا مني إحضار الخروف أو الحمل الذي سيدبح على مدخل المسجد ففعلت ذلك بحب، لكنني أعلم أنهم لن يردوا بالمثل عند افتتاح كنيسة جديدة." "نعلم أن الصليب رمز يطرد الشيطان - لذا لا نعلم لم يخاف المسلمون أو يتضايقون منه".

كان اهتمام أبونا بولا منصباً على المهاجرين الإثيوبيين والإريتريين في أسوان الذين كانوا بحاجة ماسة إلى المساعدات الطبية العاجلة. أخبرناه بأننا سنطلب المساعدة من المؤسسات غير الحكومية التي لنا علاقات وطيدة بها. ثم عدنا إلى إدفو مع سائق قبطني سأله عن طبيعة العلاقة بين المسلمين والمسيحيين. كان رجلاً بسيطاً سمع الكثير من الروايات عن المشاكل مما جعله يؤمن بأن المسيحيون مضطهدون.

وصلنا إلى الكنيسة في إدفو حيث قابلنا أبونا صليب إلياس وأبونا مكاروريوس اللذان أصرا بأن لديهما جميع المستندات القانونية لتحويل قاعة الصلوات الحالية إلى كنيسة. بالطبع طلبنا منهما الاطلاع على هذه الوثائق فجلبا لنا المستندات الآتية: اسطوانتين مدمجتين للقاءات أجراها كل من الشيخ حبيب وأبونا صليب في 16 أكتوبر 2011.

- اسطوانة مدمجة سجل عليها لقاء كوم أمبو عندما التقى قادة الجانبين واشترط المسلمون عدم وضع صليب على المبنى ، تعليق جرس أو بناء قبة. (رابط إلى نص المقابلة)

- اسطوانة مدمجة عليها مجموعة من الصور ونسخة من مستندات الكنيسة القديمة مع مقاطع فيديو لمشاهد الحرق والأضرار التي لحقت بالمبنى والمباني المجاورة له. سأل كورنيليوس هولسمان أبونا مكاروريوس عن أمر قطع 1200 شجرة مانجو فأجاب: "أعتقد بأن الرجل الذي تحدثت إليه ربما كان مبالغاً إلى حد ما؛ ربما كانت هناك مساحة صغيرة مزروعة ولكن ليست بالتأكيد 1200 شجرة."

اتفق كل من أبونا مكاروريوس وأبونا صليب على أن الناس تميل دائماً لتضخيم الأرقام. فبالفعل هناك ضرر قد وقع، لكن لا يجب المزايدة. كان أبونا مكاروريوس وأبونا صليب مشغولين مع أحد المحامين من إدفو والذي سيجري اتصالات مع الحكومة والمسؤولين الأمنيين لإيجاد حل للمشكلة. لذا فبينما كانت المشكلة بالنسبة للشيخ حبيب قد انتهت إلا أن الأمر لم يكن كذلك بالنسبة للقساوسة في إدفو. لذا قررنا أن نرحل تاركين إياهم بصحبة المحامي. تصافحنا وغادرنا متجهين إلى الفندق.

في الثاني من أكتوبر 2011 تركنا أنا وكورنيليوس هولسمان إدفو؛ أنا إلى القاهرة وكورنيليوس هولسمان إلى المنيا. في محطة السكك الحديدية ابتعت جريدة "المصري اليوم" وفوجئنا بالأخبار الخاصة بالمظاهرات القبطية في القاهرة أمام دار

القضاء العالي. لاحقاً علمت أن التوترات التي حدثت في الماريناب أصبحت حرباً إعلامية وتركزت حول دور المحافظ في القصة بتوقيعه على المستندات. وفي وقت لاحق حدثت التظاهرات أمام ماسبيرو في التاسع من أكتوبر والتي وصفها جيسون كاسبر و قال أن أحد القساوسة أخبره بأنه يصارع منذ اثني عشر عاماً للحصول على ترخيص بناء كنيسة على قطعة أرض في أحد القرى.

10- محادثات تليفونية لطلب مزيد من المعلومات

محادثة مع محام من الكنيسة، 5 أكتوبر 2011

في يوم الأربعاء الموافق الخامس من أكتوبر اتصلت بمحام قبطي يدعى أسامة وهو المسئول عن ملف قضية كنيسة الماريناب. سألته عن أحد المستندات التي حصلت عليها من الجانب المسلم. المستند عبارة عن "مذكرة عرض على السيد محافظ أسوان". يذكر في الركن الأيسر منها: "خاص بملاحظة كنيسة كبير الملائكة ميخائيل في الرادسية - خور الزاج" ثم ورد العنوان التالي: "خاص بالطلب المقدم من كبير القساوسة مكاريوس بولس مجلع عياد - قس كنيسة القديس مار جرجس في الماريناب، إدفو (قبلي) للحصول على تصريح إحلال و تجديد لسقف الكنيسة بالدور الأرضي ليكون بالاسمنت بدلاً من الجريد، بالإضافة إلى تجديد ثلاثة قباب بالدور العلوي للكنيسة ليكون الطوب الأحمر بدلاً من الطين والطوب اللين، وتجديد الوصلات الكهربائية. ثم تبعها وصف مفصل للكنيسة (النسخة باهتة للغاية في الجزء الأسفل للمستند).

هكذا يشير المستند إلى كنيستين مختلفتين: الأولى في الرادسية - خور الزاج والأخرى في الماريناب - قريتين مختلفتين تماماً. من ثم يعتقد المسلمون أنه تم التلاعب بهذا المستند.

"إنها غلطة أقترفها السكرتير الذي كتب هذا المستند" شرح المحامي.

هل يعقل أن تكون غلطة من سكرتير بمكتب المحافظ؟ والمحافظ وقع على هذا؟

سألته عن الوثيقة التي عرضها عليّ المسلمون لإثبات أنها قصة تدور حول منزلين مختلفين.

أوضح المحامي: "كان منزلاً ولكن والد يوسف معوض وهبه للكنيسة منذ وقت طويل لتحويله إلى كنيسة."

فسألته: "ولماذا لم تحاول تغيير المستند لإثبات أنه كان مسجلاً على أنه كنيسة؟"

فأجاب: "إنه معروف بالوقف القبطي وهذه هي مشكلة الدولة وقوانينها."

محادثة مع الشيخ حبيب منصور 6 أكتوبر 2011

أخبرني الشيخ حبيب منصور عن حل وسط اقترحه أحد مشايخ أسوان ورجل دين مسيحي. كان الحل يدور حول إعادة بناء المنزل طبقاً لشكله القديم قبل الإزالة. خابرتة مجدداً يوم 7 أكتوبر لمعرفة ما إذا كانت هناك أية تطورات وردت بالاجتماع نفي قائلاً: "لا المسيحيون يصرون على الظهور على وسائل الإعلام وتصعيد الموقف."

ثم خابرت أشرف معوض وسألته عن أية أخبار جديدة من جانبه.

أجاب: "كل شيء على ما يرام الآن، ولكن كانت هناك محاضر كيدية ضد بعض منا. سجننا ولكن بعد فترة أطلق سراحنا بكفالة قدرها 200 جنيهاً مصرياً."

محادثة مع الشيخ حبيب منصور، 8 أكتوبر 2011

في الثامن من أكتوبر تلقيت اتصالاً من الشيخ حبيب منصور الذي أخبرني أن جماعة سلفية يطلق عليها "ائتلاف دعم المسلمين الجدد" عرضوا عليه إجراء مؤتمراً صحفياً في القاهرة حيث يمكنه عرض جميع المستندات التي بحوزته وعرض حجته. سألتني عن رأيي في ذلك. أوضحت له أن هذا الائتلاف هو نفسه الذي كان وراء العنف الموجه ضد كاميليا شحاتة والعنف الطائفي الذي وقع في إمبابية ولا أتوقع منهم

خيراً. سينشر موقعنا الإلكتروني مستنداتك ومستندات الجانب المسيحي. عندها افتتح بعدم التعامل معهم.

قال كورنيليوس هولسمان أن كاميليا شحاتة لم تكن مختبئة ولا محجبة كما قدمها السلفيون مما يدل على أن الصورة كانت مفبركة. كانت كاميليا تعاني من مشاكل زوجية ولكنها لم تعتق الإسلام قط ولم تحرر محضراً بالشرطة حيال ذلك مثل ما فعلت وفاء قسطنطين. وأعربت عن تخوفي حيال احتمالية استغلالهم لمستندات الشيخ بغرض عمل دعاية مشابهة مضادة للمسيحية والتي قد تؤدي إلى المزيد من العنف والتظاهرات.

11- لقاءات مع مجموعة من الزعماء المسلمين و المسيحيين

تم دعوة كل من الشيخ حبيب منصور وأبونا صليب لحضور ندوة عن "الحق في الوطن بدعم من الزعماء المسلمين والمسيحيين". استلمت أسطوانة مدمجة من الشق المسيحي تتضمن عرض قدمه "أبطال الرواية" خلال الندوة. كان أبرز من حضر الندوة صبيان وبنات في سن المرحلة الثانوية. ترأس الجلسة كل من الشيخ حبيب، أبونا صليب، أبونا مكاروريوس واثان من مديري المدرسة. في بداية الاجتماع قدم المدير الشيخ حبيب على أنه: "إمام وداعية مسجد عمر بن عبد العزيز وعضو لجنة الإفتاء في إدفو"، و مكاروريوس مجلح على أنه: "قس كنيسة مار جرجس في الماريناب". كان هدف هذه الندوة التأكيد على المواطنة والوطنية وحماية الممتلكات القومية.

يتحدث أبونا صليب اللغة العربية الفصحى بطلاقة على الرغم من أن ذلك أمر غير شائع بين الأقباط. تحدث عن الشيخ حبيب ووصفه بأنه أخ عزيز. قدم أبونا مكاروريوس على أنه "قس كنيسة الماريناب". انتقد أبونا صليب كل من يسعى للحصول على القوة والدعم من خارج الكنيسة مؤكداً أن القبطي الحق لا يعتمد سوى على الله. وذكر الموقف الخاص بالبابا بطرس السابع والعرض الذي قدمه حيال حماية الأقليات

في مصر إضافة إلى العرض الشهير الذي قدمه المستعمر البريطاني إلى البطريرك كيرلس الخامس لحماية الأقليات أيضاً والذي رفضه البابا القبطي. تلى أبونا صليب بعض الآيات القرآنية التي تعكس قوة العلاقة بين المسلمين والمسيحيين وأن المسيحيين هم أكثر الناس مودة بالمسلمين.

ذكر أبونا صليب أيضاً قصة شهيرة ترجع إلى 25 عاما عندما سمع المسلمون إشاعة عن بناء المسيحيين لكنيسة.

بدء أبونا صليب روايته قائلاً: "كان أجدادكم يتسمون بالحكمة وسألونا 'هل ستبنون كنيسة؟'"

" فأجاب المسيحيون: 'لا، إنها مجرد مضيعة لإقامة حفلات الزفاف والجنازات و يمكنكم المجيء والاحتفال بالمناسبات. ولأؤكد لكم يمكننا كتابة عقد ينص على أنه في حالة ما إذا وجدتموها مضيعة فأنتم مدعوون لحضور مناسباتنا وفي حال ما إذا وجدتموها كنيسة فهي بين أيديكم ويمكنكم إزالتها. من تلك اللحظة وحتى الآن فهي لازالت مجرد مضيعة بجوار منزل يوسف معوض"

اجتمعت أنا وكورنيليوس هولسمان مع بعض القادة من الجانبين المسلم والمسيحي في إدفو لمناقشة أبعاد الموضوع باستفاضة أكثر. علق مدرس لغة عربية قائلاً أن المسلمين والمسيحيين كانوا في الماضي بالحكمة الكافية للسؤال وكتابة شرط إبقاء المبنى كمضيعة. ثم ذكر أحد الأحاديث النبوية: "

ذكر لاحقاً كم كان من المرهق على أبونا مكاروريوس أن يدور بين المكاتب ما بين أمن الدولة إلى وزارة الأوقاف ووزارة الإسكان للحصول على مستندات تجديد كنيسة المارينا. دائماً ما كان هذا عائقاً للأب مكاروريوس والعديد من الكهنة الآخرين في القرى عندما يسعون للحصول على التصاريح.

هذه هي الروابط الخاصة بالمحادثات التي جرت بين الشيخ حبيب و أبونا صليب:

<http://www.youtube.com/watch?v=ffGRr-ZveUM>

<http://www.youtube.com/watch?v=dnRpYVfpOrs>

تعليق على الندوة (لميس):

من الواضح أن أبونا صليب والشيخ حبيب يفهمان بعضهما البعض على الرغم من التحديات الموجودة في قريتهم. في معظم خطاب أبونا صليب كان يتحدث عن بناء أو ترميم كنائس مستشهداً بأمثلة من أماكن أخرى وأحاديث نبوية. لذا فمن الواضح أنه كانت هناك نية لإعادة بناء الكنيسة منذ وقت طويل مضى وأن المسلمين كانوا على علم بذلك. دعوت أشرف عياد لسؤاله أين بالضبط يقع منزل يوسف معوض. فأجاب: "على يسار المضيضة".

زرت المضيضة والتقطت صوراً لها. بدت جديدة نوعاً ما - عمرها حوالي 25 عاماً. سألت أشرف عما إذا كان يوسف معوض يمتلك منزلاً آخر. فأجاب: "نعم بالقرب من الكنيسة".

لذا فالآن تساءلت أي منهما كانت الكنيسة وأي منهما كانت المضيضة لأن يوسف معوض يمتلك منزلين.

11- مستندات من كلا الطرفين المسلم و المسيحي

المستندات الخاصة بالمسلمين:

1- الوثيقة هي "مذكرة عرض" لمحافظة أسوان. في الركن الأيسر منها: "خاص بملاحظة كنيسة كبير الملائكة ميخائيل في الراديسية - خور الزاج" ثم ورد العنوان التالي: "خاص بالطلب المقدم من كبير القساوسة مكاريوس بولس مجلع عياد - قس كنيسة القديس مار جرجس في الماريناب، إدفو (قبلي) للحصول على تصريح إحلال و تجديد لسقف الكنيسة بالدور الأرضي ليكون بالاسمنت بدلاً من الجريد، بالإضافة إلى تجديد ثلاثة قباب بالدور العلوي للكنيسة ليكون الطوب الأحمر بدلاً من الطين والطوب اللبن، وتجديد الوصلات الكهربائية. ثم تبعها وصف مفصل للكنيسة.

ملاحظة: تم الإشارة إلى كنيستين منفصلتين في هذا المستند: القديس مار جرجس والرادسية - خور الزاج. لم تحو كنيسة الماريناب قبة في الأصل. إنه لمن الواضح أن المستند لم يعتمد على عملية توصيف للمبنى. هذا هو المستند الرئيسي الذي أدى إلى الوقيعة بين الطرفين حيث يعتقد المسيحيون أنها مجرد غلطة تسببت فيها الحكومة بينما على النقيض يقول المسلمون أن هذا المستند مزور.

- 2- تفيد وثيقة من شركة الكهرباء: "أنه في العاشر من سبتمبر 2011 قدم الأسقف هيدرا ميلاد عادل طلباً للاشتراك برقم 66654. إضافة إلى ذلك، تم تحويل ملكية الحساب من معوض يوسف معوض إلى الأسقف هيدرا ميلاد وذلك في العقد الموثق بتاريخ 6 أغسطس 2009 في الماريناب. نوع النشاط: منزل/دار مناسبات برقم حساب 1580. بتاريخ: 10-9-2011 دون أدنى مسئولية على الشركة.
- 3- أفاد مستند من مديرية الزراعة بإدفو أنه في يوم الاثنين الموافق 20 ديسمبر 2010 قام أبونا مكاريوس بإرسال محمد إبراهيم عبد الباسط، مدير المديرية، لتقصي أمر المنزلين حيث وجد مخالفة بناء طبقاً للقانون رقم 116 لسنة 1983.
- 4- محضر ضبط و إحضار: البند 1 - البند 2

المستندات الخاصة بالمسيحيين:

1- "تصريح إزالة" رقم 2 (2010) الذي تقدم به أبونا مكاريوس. طبقاً لهذا المستند، مصرح له فعل الآتي:

- "إزالة الطابق الأرضي ذو الناصيتين بارتفاع 29.7 متر تحت إشراف مهندس."
- 2- "تصريح بحكم قضائي" المرجع 1 - المرجع 2 تمت كتابتهما وفقاً لقانون رقم 144 لسنة 2006:

"يمتلك المتقدم بالطلب قطعة أرض عليها كنيسة الشهيد العظيم القديس مار جرجس في الماريناب بناصيتين شرقية وجنوبية. شيدت من الطوب اللين ومكونة من مدخل وساحة بأعمدة من الطوب الأحمر الطيني و الأسمنت. شيد السقف من الجريد

والألواح الخشبية. يريد المتقدم بالطلب تنكيس الطابق الأرضي ومساواته بالأرض طبقاً للتصميم الهندسي."

3- "حكم قضائي و تعهد" يفيد بالآتي: "رخص لي أنا، مكاريوس، بالقيام بالتغيرات المذكورة في التصريح رقم 41 لعام 2010 كما أتعهد بتنفيذ ذلك نيابة عن الأسقف هيدرا."

4- تحتوي بنود القانون رقم 119 لعام 2008 على المواد رقم 40، 43، 49، 51، 52، 53، 54، 55، 56، 57 و 60 وتصريح رقم 42 لعام 2010.

13- التغطية الإعلامية

*الأهرام، 2 أكتوبر 2011

سامح لاشين

"هددوا بالاعتصام في حالة عدم الاستجابة لمطالبهم خلال 48 ساعة.. أقباط يقطعون شارع رمسيس احتجاجاً علي حادث كنيسة إدفو"

<http://www.arabwestreport.info/year-2011/week-40/4-coptic-open-sit-if-demands-arent-met-concerning-idfu-church-incident>

*المصري اليوم، 2 أكتوبر 2011

عماد خليل

"مسلمون وأقباط ينتظرون أمام «القضاء العالي» احتجاجاً على أحداث أسوان"

<http://www.arabwestreport.info/year-2011/week-40/2-thousands-copts-protest-aswan-church-attack>

*الأخبار، 2 أكتوبر 2011

"مسيرة لمئات الأقباط من شبرا لرمسيس احتجاجاً علي أحداث كنيسة إدفو"

<http://www.arabwestreport.info/year-2011/week-40/3-coptic-march-shubra-ramsis-protesting-idfu-church-incidents>

*روز اليوسف، 2 أكتوبر 2011

ميخائيل عدلي ومحمد شريف

"منظمات قبطية تطالب المجلس العسكري بالتحقيق في واقعة الماريناب"

<http://www.arabwestreport.info/year-2011/week-40/6-coptic-organizations-call-scaf-investigate-idfu-church-incident>

*المصري اليوم، 2 أكتوبر 2011

سارة كار

"Aswan Attack Part of 'Ethnic Cleansing' of Copts, says Lawyer"

<http://www.arabwestreport.info/year-2011/week-40/13-aswan-attack-part-ethnic-cleansing-copts-says-lawyer>

*المصري اليوم، 3 أكتوبر 2011

"عشرات الأقباط يتظاهرون في أسوان للمطالبة ببناء كنيسة الماريناب"

<http://www.arabwestreport.info/year-2011/week-40/28-copts-aswan-demand-construction-church>

*الأهرام، 4 أكتوبر 2011

نيفين نجيب

"تضارب في أقوال المحافظة والكنيسة حول الفتنة الطائفية في أسوان"

<http://www.arabwestreport.info/year-2011/week-40/32-conflicting-reports-church-governor-aswan-fitnah>

*وطني، 2 أكتوبر 2011

نادر شكري

"متشددو إدفو يحرقون كنيسة الماريناب ومنازل للأقباط"

<http://www.arabwestreport.info/year-2011/week-40/34-idfus-extremists-burn-church-copts-houses>

*المصري اليوم، 5 أكتوبر 2011

عماد خليل

"الشرطة العسكرية تفض بالقوة اعتصام الأقباط أمام ماسبيرو"

<http://www.arabwestreport.info/year-2011/week-40/35-military-police-forcibly-disperse-coptic-sit>

*المصري اليوم، 5 أكتوبر 2011

"أقباط يواصلون الاعتصام للمطالبة ببناء كنيسة الماريناب"

<http://www.arabwestreport.info/year-2011/week-40/38-coptic-christians-continue-sit-demand-building-marinab-church>

*المصري اليوم، 6 أكتوبر 2011

"الشرطة العسكرية تفض اعتصام الأقباط بالقوة.. والكنيسة: ربنا موجود"

<http://www.arabwestreport.info/year-2011/week-40/40-military-police-disperse-coptic-protesters-force>

*الأهرام، 6 أكتوبر 2011

"إخلاء سبيل 8 متهمين في أحداث كنيسة الماريناب"

<http://www.arabwestreport.info/year-2011/week-40/43-8-suspects-aswan-church-attack-released>

*الأهرام، 6 أكتوبر 2011

محمد عبد الخالق

"الأزهر يستنكر أحداث الفتنة بأسوان"

<http://www.arabwestreport.info/year-2011/week-40/44-azhar-condemns-aswan-church-attack>

2011 ، Arab-West Report ، 10 أكتوبر

*ديانا ماهر غالي

"بيان المجمع المقدس للكنيسة الأرثوذكسية عن أحداث ماسبيرو"

<http://www.arabwestreport.info/year-2011/week-41/5-statement-coptic-orthodox-church-holy-synod-masperos-incidents>

*الأهرام، 10 أكتوبر 2011

عبد المنعم سعيد

"كنيسة الماريناب"

<http://www.arabwestreport.info/year-2011/week-41/14-marinab-church>

*الشروق ، 24 سبتمبر 2011

حمادة بعزق

"أقباط ينزعون فتيل الطائفية بوقف بناء كنيسة"

<http://www.arabwestreport.info/year-2011/week-39/5-copts-pacify-fitnah-holding-construction-church-idfu>

*المصري اليوم، 30 سبتمبر 2011

"المسلمون يحرقون جزء من كنيسة محافظة أسوان"

<http://www.arabwestreport.info/year-2011/week-39/45-muslims-burn-part-aswan-governorate-church>

*وطني، 26 سبتمبر 2011

نادر شكري

"مجلس الوزراء يتقصي الحقائق حول اعتراض مسلمي المارينا علي بناء قباب للكنيسة"

<http://www.arabwestreport.info/year-2011/week-39/18-cabinet-fact-finding-team-investigate-muslims-objection-church-domes-aswan>

14- الخاتمة:

لميس يحيى

ظهر الكثير من الجدل في هذه القصة. فالأقباط والمسلمون والأمن يحملون جميعاً على عاتقهم مسئولية تصاعد الأمور. ولكنني ألقى بمعظم اللوم على قوات الأمن لعدم وقف المسلمين عن مهاجمة الكنيسة. رأيت بعيني كيف يعامل الضباط المسيحيين بطريقة فظة. أنا أفترض أن الأقباط يعلمون أنه كم من الصعب تجديد الكنيسة، ناهيك عن محاولة إعادة بناؤها، لذا لجأوا إلى طرق غير شرعية لاستخراج التصاريح. يتفق هذا الرأي مع ما ذكره الشيخ حبيب منصور في بداية هذا التقرير. قد يكون أيضاً المحافظ مخدوعاً ولا يوجد من ناحيته أي نوع من سوء النية.

"أدت المفاوضات بين المسلمين والأقباط إلى الدخول في دائرة مغلقة من العنف ولكن الأقباط حصلوا على تصاريح هدم القباب." لازلت لا أجد سبباً وجيهاً يدفع المسلمين لمهاجمة الكنيسة يوم 30 سبتمبر. هل يمكن أن يكون لهذا علاقة بالتهديدات التي وجهها مؤتمر الحزب الوطني الديمقراطي بإشغال جنوب مصر في حال منعه من الدخول في الانتخابات البرلمانية القادمة؟ كيف يمكن أن تجتمع كل هذه الأمور بمحض الصدفة؟

يبدو الجدل بأن المسلمين يعرضون إظهار سوء استخدام الأقباط للفراغ الأمني لبناء الكنيسة منطقياً، ولكن لماذا لم ينتظر الأقباط حتى تنتهي الانتخابات وتدير شؤون

البلاد سلطة شرعية؟ وبنفس المنطق استغل المسلمون غياب الأمن والسلطة لهدم الكنيسة.

ولا يزال سؤال إشعال النار مطروحا. من الذي أشعل النيران؟ فكل طرف يحاول إلقاء اللوم على الآخر.

يزعم الأقباط بأن المسلمين هم من أشعلوا النيران في بيوتهم وكنيستهم. ويزعم المسلمون طبقاً لما ذكره الشيخ حبيب منصور بأن مسيحي يدعى رعوف فريد أشعل النيران في إطارات السيارات لمنعنا من الاقتراب من الكنيسة وهذا ما شهده لواءات الأمن. الأمر الذي لازلت لا أفهمه هو لماذا لم يحاول الأمن إطفاء النيران. أوضح اللواء محمد بدران أن المسلمين أثناء هدم الكنيسة استخدموا أدوات غير مناسبة لإشعال النيران بالكنيسة.

أين كانت قوات الأمن لتوقف مثل هذه الكارثة؟ لماذا لم تحاول طلب تعزيزات أمنية من إدفو لمساندتهم؟

أعلم أن تعليقاتي لن ترضي أي من الطرفين. أظهرت حركة بناء المزيد من الكنائس لمنافسة عدد المساجد في مصر ظاهرة التمددين بمظهر سيء، حيث كانت تبنى المساجد والكنائس المزخرفة في أماكن فقيرة وعشوائية. كانت منازل الأقباط التي زرتها في حالة يرثى لها حيث يمكن للمرأة أثناء الولادة أن تعاني من نقص الإمدادات الطبية لها ولطفلها. ومع هذا فإن المال دائماً ما يتوافر عندما يتعلق الأمر ببناء الكنائس والمساجد ذات المآذن والمنارات الشاهقة، ودائماً يكون هناك عجز عندما يتعلق الأمر ببناء المدارس، المستشفيات أو حتى المكتبات. فمثل هذه الأمور غير موجودة بالأجندة الخاصة بالجانبين.

يهتم الأقباط بالمظهر الخارجي لهم ومنافسة المآذن المرتفعة التي تتميز بها المساجد أكثر من اهتمامهم بمحاربة الأمراض.

يقول الماركسيون: "الدين مخدر الأمم". أتضح أن هذا أصبح الحال في مصر عام 2011. حيث فقد كلا الطرفين الأمل في حياة أفضل لذا سرعان ما هربوا إلى

الحياة الدينية دون النظر في نوع ما يقدم إليهم من أفكار. لقد وضعوا أنفسهم رهن إشارة قادتهم من أهل الدين ظناً منهم أن هؤلاء سيقودونهم إلى أبواب جنة الفردوس. عشق القادة الدينيين من كلا الطرفين السلطة التي وهبها لهم الناس إلى أن تحول الأمر إلى صراع بين القادة من كلا الجانبين لإظهار قوة كل منهما. يعتقد الأقباط أن أوراق القس شرعية وقانونية وذلك لما يكنوه له من حب وتبعية. وعلى الجانب الآخر، استمع المسلمون إلى الشيخ الذي خطب فيهم يوم الجمعة وعبر عن آماله في أن تهدم الكنيسة.

كورنيليوس هولسمان

تدور قصة الماريناب حول بناء الكنائس، مراوغات الحكومة والكنيسة، عدم تساهل المسلمين مع بناء كنيسة صغيرة في قريتهم، مرسوم ضعيف لقانون ينظم بناء الكنائس، نقص تطبيق أحكام القانون، محاولة المسيحيون والمسلمون نيل ما يريدون بالقوة. وبالطبع فإن الجانب الأضعف وهو المسيحيون يخسر دائماً. لم يكن دور المحافظ إيجابياً. كانت تصريحاته مستفزة تزعم بأن المسيحيين لم يكن لديهم كنيسة في الماريناب في أي وقت مضى. ما الذي يجعل من مكان كنيسة أو مسجداً؟ الصلاة! والمسيحيون كانوا يصلون في هذا المكان منذ عدة سنوات وبعلم وتحت سمع وبصر المجتمع المسلم كله والحكومة. كرر المسلمون في القرية ادعاءات المحافظ بأنه لم تكن هناك كنيسة على الإطلاق من قبل مبررين بهذا اعتدائهم على الكنيسة. كان عليه أن يصرح بأنه كانت هناك ولفترة طويلة كنيسة وكانت كذلك بدون ترخيص.

تدور القصة أيضاً حول المظاهر الخارجية. كان المسيحيون حقاً أقلية لديها مكان للصلاة، ولم يعترض على ذلك أحداً من المسلمين، لكن بعض المسيحيون أرادوا توسعة المكان واطهاره من الخارج على أنه كنيسة واضحة المعالم للجميع. لكن المسلمون رفضوا ذلك. وحيث أن الحكومة كانت سلبية بشكل واضح، أدى ذلك

إلى الهجوم على المبنى الذي كان في طريقه للتحويل لكنيسة في القرية في 30 سبتمبر 2011.

هناك العديد من الجوانب في هذه القصة تعكس نماذج في المجتمع المصري كله:

يشكو العديد من المسلمون والمسيحيون من تطبيق القانون بشكل انتقائي، صعوبات تواجه المسيحيين عند بناء المنازل ودور العبادة وتيسير بناء المساجد للمسلمين.

قدم كهنة أسوان والمنيا والقاهرة أمثلة عديدة للمعاناة والصعوبات التي تواجههم في استخراج تصاريح بناء الكنائس، وفي حال إذا ما حصلوا عليها يحاول المسيحيون دائماً بناء أكثر مما تسمح به التراخيص التي حصلوا عليها. وأنا أؤمن أنه ليس من الحكمة تشييد أكثر مما هو مسموح به لكن المسيحيون يدافعون بأن الأمر قد وصل إلى حد من الصعوبة يجعلهم عندما تتاح لهم الفرصة... أن يأخذوا كل ما تصل إليه أيديهم.

لذا أؤمن بأن مثل هذا السلوك يخلق جواً من الشك لدى الحكومة والمسلمين الذين يرون الانتهاكات مثلاً واضحاً يدفعهم للشك كثيراً والتأكد من صحة التصاريح. ترجع صعوبة استخراج التصاريح إلى الرشاوى التي يتقاضاها موظفو الحكومة كما ذكر مسيحيون من المنيا والقاهرة كظاهرة عامة لكن لم يذكر أحدهم بأن ذلك هو ما قد حدث في الماريناب أو إدفو وهكذا فإن وقائع الرشوة كثيراً ما تحدث ولكن ليس بشكل دائم.

من المعروف دائماً لدى المسلمون والمسيحيون أن المسيحيين سيحاولون التحايل على القانون ليصلوا إلى مبتغاهم. لذا فمن ناحية يمكن فهم ذلك في ظل الصعوبات التي يواجهونها أثناء استخراج التصاريح ولكن إتباع مثل هذا المنهج لا يساعد على مد جسور الثقة.

يستغل المسيحيون أيضاً غياب الرقابة من قبل الأمن والمسلمون المحليون ويقومون بتوسعة المباني أو إنشاء مبان جديدة كلية ليس فقط في الماريناب ولكن في أجزاء أخرى عديدة من مصر. وخير مثال على ذلك الجهود التي بذلت لتوسعة وتعلية حوائط دير الأنبا بيشوي بعد الثورة.

كان المسيحيون على استعداد للهجوم العنيف. كانت لديهم كاميرات لتصوير كل ما سيحدث. أعد آخرون قوائم بأسماء مسلمي القرية الذين شاهدوهم يهاجمون كنيستهم. كان هذا نتاج الحقبة الماضية من الاهتمام المتنامي بالانترنت. ولكن الصور ومقاطع الفيديو الدرامية لا تفعل شيئاً إلا إشعال الفتنة حيث تقوم بشحذ عواطف المسيحيين الآخرين وخلق مشاعر الغضب داخل المسلمين ولا توفر المحتوى الكافي الذي يساعد على فهم مجريات الأمور وكيفية إيجاد الحلول لذلك.

لا يلعب الإعلام بشكل عام دوراً إيجابياً سواء على المستوى المحلي أو العالمي. فهم لا يقدمون إلا تعبيرات عن مشاعر وإظهار للجانب السلبي ويهملون المحتوى أو الجانب الإيجابي. أخبرني صديقي الصحفي حسام العائدي في السابع من أكتوبر أنه شهد كيف حمى أحد ضباط الشرطة امرأة بعينها في إحدى التظاهرات. فبحث عن الضابط حتى وجده وكتب عنه قصة؛ ليقوم بعدها زملائه ممن الصحفيين بانتقاده بحدة لكتابته شيئاً إيجابياً عن أحد ضباط الشرطة. حقاً إن الجو الإعلامي مسمم ويجب فعلاً توجيه الانتباه إلى المحتوى والجوانب الإيجابية لإظهار حقيقة أن الصورة ليست سوداء في مجملها ولكن هناك عناصر مضيئة أيضاً.

ففي دوامة الأحداث التي وقعت كان المسيحيون في القرية يصفون المسلمين بأنهم سلفيون في حين أن ذلك لم يكن صحيحاً.

حين سألت أحد القساوسة لاحقاً في المنيا عن هذا الموضوع أجاب بأنه بالنسبة له لا فرق بين الإخوان المسلمين والسلفيين أو أي من التيارات الإسلامية الأخرى. اتخاذ مثل هذا الموقف لا يساعد قطعاً على إيجاد حلول. إن القساوسة المسيحيين لقادرون على تحريك الجموع، قادرون على توجيه تابعيهم مثلما يستطيع الشيوخ

المسلمون. فالمسيحيون يصدقون القصص التي يرويها لهم قساوستهم وكذلك المسلمون يصدقون القصص التي يرويها لهم قاداتهم كالمشايق، كبار العائلات أو ممثلي الأحزاب السياسية المحلية.

ينقص الشيخ حبيب منصور وكذلك تابعيه الفهم الصحيح للمجتمع المسيحي. فقد صرحوا أنه ما من مشاكل بينهم و بين المسيحيين في قريتهم ولكنهم في الوقت ذاته عبروا عن رفضهم لدخول القساوسة صليب ومكاريوس القرية. بالنسبة للمسيحيين فتعلقهم بكهنتهم عميق للغاية وعدم السماح لهم بدخول القرية ليس دليلاً قاطعاً على السلام.

هناك حاجة ماسة للتوفيق بين المسيحيين والمسلمين ليس فقط في الماريناب ولكن في أماكن أخرى كثيرة في مصر. نحن نتضرع إلى الله أن يهب مصر مستقبل أفضل تظهر فيه للعالم أجمع أن المسلمين والمسيحيين أخوة وأخوات يمكنهم سويًا أن يبنوا مصر من جديد.

THE CENTER FOR
INTERCULTURAL
DIALOGUE AND TRANSLATIONS